

SIATS Journals

Journal of Arabic Language for Specialized Research

(JALSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk

e-ISSN: 2289-8468



مجلة اللغة العربية للأبحاث التخصصية

المجلد 3، العدد 2، أكتوبر 2017

e-ISSN: 2289-8468

ALMUTUN ALEILMIAT WAMAEALIMUHA ALNAZARIAT NASHA'ATHA - EAWAMIL ZUHURIHA - MAZAHIR ALQABUL W ALRAFD

المتون العلمية ومعالمها النظرية

نشأتها – عوامل ظهورها – مظاهر القبول و الرفض

د.أحـمـد نـادي

prof.ahmednadi@gmail.com

أستاذ مادة التربية الإسلامية بالسلك الثانوي التأهيلي

متخصص في التربية و الدراسات الاسلامية

2017 – 1439

ARTICLE INFO

Article history:

Received 6/8/2017

Received in revised form 25/8/2017

Accepted 3/10/2017

Available online 15/10/2017

Keywords:

Abstract

Significantly, most of Quranic and Sunnah texts urged their followers to seek knowledge. In order to facilitate in searching knowledge while overcome all the difficulties, the Islamic scholars classified the abbreviations toward the science of Shariah. These abbreviations classification became the first attempt in announcing the important of seeking knowledge. To prove the importance of indicator in searching knowledge and it`s powerful such as scholars said `Those who are memorizing from the fundamental or called the original sentence (متن) became the champion of Arts and those who are digging from the basic fundamental knowledge will be able to reach into the perfect conclusion. Thus, in evaluation the discussion above, the question has to be deliberated wisely is `What is the most important theoretical parameters in recognizing the phenomenon of fundamental knowledge seeking?



ملخص

و قد جاءت نصوص كثيرة من القران و السنة تحث على طلب العلم و تنوه بفضل حامليه. ومن أجل تسهيل طريق طلب العلم و تذليل صعابه على طلابه، صنف العلماء مختصرات يقربون بها أصول علوم الشريعة، فكانت هذه المختصرات هي اللبنة الأولى في صرح طلب العلم، و مما يدل على أهميتها ما درج على ألسنة العلماء في الحث عليها كقولهم: "من حفظ المتون حاز الفنون"، و "من حفظ الأصول ضمن الوصول". والسؤال الذي ستجيب عنه الورقة : ما هي أهم المعالم النظرية لظاهرة المتون العلمية؟

مقدمة

مدخل مصطلحي : ""متن: المتنُ والمتْنَةُ لغتان، يُذكَّر ويُؤَنَّث، وهما مَتنَتانِ لَحمتانِ مَعصوبتانِ بينهما صُلْبُ الظَّهْر مَعْلُوَّتانِ بعَقَبٍ، والجميع المتُونُ. ومَتَنْتُه: ضَرَبتُ مَتنَه بالسِّياط. والمتِينُ: القويُّ من كلِّ شيءٍ، ومَتُنَ مَتانةً. والمتْنُ في الأرض: ما ارتَفَعَ وصَلُبَ، وجمعه مِتان. ومَتْنُ كلِّ شيءٍ: ما ظَهَرَ منه، ومَتْن القِدْرِ والمزادةِ: وَجْهُها البارز. والمتْنُ: مَتنُ السَّيف. والمماتَنة: المباعَدة في الغاية، وسارَ سَيْراً مُماتِناً، أي بعيداً. والمتنُ: أنْ يُشَقَّق صَفَنُ الدّابّة فيُسْتَخْرَجُ أُنْثَياه بعُروقِهما، ومَتَنتُه مَتْناً، فالدابَّة مَمْتُونٌ."[1] و"(مَتَنَ) الْمِيمُ وَالتَّاءُ وَالنُّونُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى صَلَابَةٍ فِي الشَّيْءِ مَعَ امْتِدَادٍ وَطُولٍ. مِنْهُ الْمَتْنُ: مَا صَلُبَ مِنَ الْأَرْضِ وَارْتَفَعَ وَانْقَادَ، وَالْجَمْعُ مِتَانٌ. وَرَأَيْتُهُ بِذَلِكَ الْمَتْنِ. وَمِنْهُ شُبِّهَ الْمَتْنَانِ مِنَ الْإِنْسَانِ: مُكْتَنِفَا الصُّلْبِ مِنْ عَصَبٍ وَلَحْمٍ. وَمَتَنْتُهُ: ضَرَبْتُ مَتْنَهُ. وَيَقُولُونَ: مَتْنَةٌ، يَذْهَبُونَ إِلَى اللَّحْمَةِ. ... وَمَتَنَ قَوْسَهُ: وَتَّرَهَا بِعَقَبٍ مِنْ عَقَبِ الْمَتْنِ. وَمَتَنَ يَوْمَهُ: سَارَهُ أَجْمَعَ، وَهُوَ عَلَى جِهَةِ الِاسْتِعَارَةِ. وَمَتَنْتُهُ بِالسَّوْطِ أَمْتِنُهُ: ضَرَبْتُهُ. وَعِنْدَنَا أَنْ يَكُونَ ضَرْبًا عَلَى الْمَتْنِ. وَالْمُمَاتَنَةُ: الْمُبَاعَدَةُ فِي الْغَايَةِ. وَسَارَ سَيْرًا مُمَاتِنًا: شَدِيدًا بَعِيدًا. وَمَاتَنَهُ: مَاطَلَهُ. وَمِنَ الْبَابِ مُمَاتَنَةُ الشَّاعِرَيْنِ، إِذَا قَالَ هَذَا بَيْتًا وَذَلِكَ بَيْتًا، كَأَنَّهُمَا يَمْتَدَّانِ إِلَى غَايَةٍ يُرِيدَانِهَا.."[2] "و المتْنُ: (الرَّجُلُ الصُّلْبُ) القوِيُّ. يقالُ: رجُلٌ مَتْنٌ. و قد (مَتُنَ، ككَرُمَ: صَلُبَ). وقالَ اللّحْيانيُّ: المتْنُ: الظَّهْرُ، يُذَكَّرُ (ويُؤَنَّثُ) ، والجَمْعُ متون. يقالُ: رجُلٌ طَويلُ المتْنِ، ورِجالٌ طِوالُ المتُونِ."[3]

"فالمتون العلمية: هي خلاصة معتصرة من أعمال علمية كبيرة، وجهود متواصلة في البناء العلميّ، لهذا كانت هذه المتون أساساً للتحصيل العلميّ، لايمكن تجاوزه لمن أراد أن يشدو في سلّم الطلب، ويسير على منهاج السالفين في ذلك. وقد راعى مصنفوا المتون العلمية فيها الشمول والدقة والإيجاز ليسهل حفظها؛ لذا فهي تخلو في العادة من كل

[1] ـ كتاب العين . (131/8.) ـ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري المتوفى: 170هـ المحقق ـ د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ـ الناشر: دار ومكتبة الهلال

[2] -- معجم مقاييس اللغةـ (294/5)أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) ـ المحقق: عبد السلام محمد هارون ـ الناشر: دار الفكر ـ عام النشر: 1399هـ – 1979م

[3] -- تاج العروس من جواهر القاموس ـ(144/36)ـ محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ) ـ المحقق: مجموعة من المحققين

ما يؤدي إلى الاستطراد أو التفصيل كالشواهد والأمثلة إلا في حدود الضرورة؛ وذلك لضيق المقام عن استيعاب هذا ونحوه."[1]

و"اخْتَصَرَ (الْكَلامَ: أَوْجَزَه) ، وَيُقَال: أَصْلُ الاخْتِصار فِي الطَّرِيق، ثمَّ استُعْمِل فِي الكَلامِ مجَازاً. وَقد فَرَّق بَعْضُ المحَقّقِين بَيْن الاخْتِصار والإِيجاز فَقالَ: الإِيجَاز تَحْرِيرُ المعْنَى، من غَيْر رِعَايَة لِلَفْظِ الأَصْل، بلَفْظ يَسِيرٍ. والاخْتِصَار: تَجْرِيدُ اللَّفْظِ اليَسِير مِنَ اللَّفْظِ الكَثِير مَعَ بَقَاءِ المعْنَى... وَفِي اللِّسَان: والاخْتِصَارُ فِي الكَلَام: أَنْ يَدَعَ الفُضُولَ ويَسْتَوْجِزَ الَّذِي يَأْتِي على المعْنَى، وكَذالِك الاخْتِصَار فِي الطَّرِيق. واخْتَصَرَ: (وَضَعَ يَدَه عَلَى خاصِرَتِهِ) ، وَفِي الأَساس: على خَصْرِه، (كتَخَصَّرَ) ، وَفِي الأَسَاسِ: تَخَاصَرَ، ويُؤَيِّده عِبَارَةُ اللِّسَان. والاخْتِصَار والتَّخَاصُر: أَن يَضْرِبَ الرَّجُلُ يَدَه إِلى خَصحره فِي الصَّلاة. ورُوِيَ عَن النَّبِيّ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم (أَنَّه نَهَى أَن يُصَلِّيَ الرَّجُلُ مُخْتَصِراً) وَقيل مُتَخَصِّراً، قيل: هُوَ من المخْصَرَة... . اخْتَصَر: (قَرَأَ آيَةً أَو آيَتَيْن من آخرِ السُّورةِ فِي الصَّلاةِ) وَلم يَقْرأْ سُورَةً بكَمَالِها فِي فَرْضه. وَبِه فَسَّرَ الأَزْهَرِيُّ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ السَّابِقَ، وَهُوَ أَحَدُ الوَجْهَيْن فِي تَأْوِيله. وَقَالَ ابنُ الأَثِير: هاكذا رَوَاه ابنُ سِيرِينَ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ. (و) اخْتَصَر: (حَذَفَ الفُضُولَ مِنَ الشَّيْءِ) عَامّةً، (وَهُوَ الخُصَيْرَى) ، بضَمَ ففَتْح فأَلِف مَقْصُورَة وَفِي بَعْض النُّسَخ بكَسْرِ الرَّاءِ وياءِ النِّسْبَةِ، أَي الخَصْرِيّ كالاخْتِصار. و اخْتَصَرَ (الطَّرِيقَ: سَلَكَ أَقْرَبَه) . قَالَ بَعْضُهم: هذا هُوَ الأَصْل "[2]

"اختصار [مفرد] مصدر اختصرَ/ اختصرَ في. والاختزال، شكل مختصر لعبارة أو كلمة باختصار: بكلمات وجيزة."[3]

الفرق بين المختصر والمتن

المختصر والمتن كلاهما من أنواع التأليف التي اشتهرت في العصور المتأخرة، وكل منهما يقصد منه التقريب، وتجنب التطويل، والاقتصار على ما لا بد من معرفته بأخصر العبارات، وأقل الألفاظ. لكنهما يختلفان في بعض الأمور:

ـ فالمتن موضوع من قبل المصنف نفسه، أما المختصر فقد يوافق المتن في هذا، ويخالفه عندما يكون من عمل مصنف آخر اختصر فيه كتابا آخر، سواء أكان هذا الكتاب له، أم لغيره.

[1] – موقع دار الإسلام ـ http://islamhouse.com/ar/category/192529/showall/showall/1/

[2] –– المرجع السابق ـ(174/11)

[3] –– معجم اللغة العربية المعاصرة ـ د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل ـ الناشر: عالم الكتب ـ الطبعة: الأولى، 1429 هـ – 2008 م ـ (649/1)

ـ المتن يشتمل على أبواب العلم كلها بإيجاز، أما المختصر فقد يكون كذلك، وقد يكون اختصارا لكتاب في باب من أبواب العلم، أو في عدد من أبوابه لا كلها.

ـ قد يكون المتن في بعض الأحيان نظما، فلا يسمى –والحالة هذه– مختصرا، مثل: متن (الرحبية في الفرائض)، (ومتن الألفية في العربية) ، ونحو ذلك."[1]

يمكن أن نقول أن قضية الاختصار كانت حاضرة منذ العهد النبوي في شخصه صلى الله عليه و سلم،"فكان صلى الله عليه وسلم يأتي بالألفاظ القليلة الجامعة لمعان كثيرة ، وترى الحديث في كلمات معدودة ثم تجد المعاني الغزيرة والفوائد الكبيرة المستقاة من الحديث الواحد. وحينما بدأ التأليف في العلوم الإسلامية كان نفس الاختصار حاضراً في أذهانهم وطرائق تأليفهم ، وهذا الموطأ ألفه الإمام مالك ثم ما زال يختصر فيه ويهذب حتى استقر على حجمه المعروف بين أيدينا، وقد كانت المصنفات في الحديث من أوائل ما صنف ، كان المحدث يطوف أقطار الأرض لتتبع رواة الحديث وكتابة ما لديهم حتى تجتمع عنده أحاديث كثيرة ، فإذا حط عصا الترحال في بلده أو بلد آخر يختاره ،أخذ الأوراق الكثيرة التي جمعها أثناء رحلته الطويلة ولخصها ثم أخرجها في كتاب ينتفع به الناس ، وهو يعلم أنه لو كتب ما اجتمع عنده لطال ذلك جداً وعسر على الطلاب تحصيله فضلاً عن دراسته ، وتأمل في اسم صحيح البخاري: " الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه " وكذا الترمذي :" الجامع المختصر من السنن ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل " . مع ما يذكر في تراجمهم من حفظ الواحد منهم لمآت الآلاف من الأحاديث إلا أنك ترى كتابه لا يتجاوز عشرة آلاف غالباً نتيجة للاختصار. ولم يأخذ الاختصار شكله الذي استقر عليه غالباً دفعة واحده بل تدرج شأنه شأن سائر فنون التصنيف في العلوم الإسلامية ، ولذلك يصعب تأريخ ابتداءها تحديداً . "[2].

وقد حاول تحديد ابتداءها بالشكل العلمي المتعارف عليه، الفقيه الحجوي الثعالبي، فحصرها في القرن الرابع الهجري فقال : "إنه في القرن الرابع بدأت فكرة الاختصار والإكثار من جمع الفروع بدون أدلة ، فبعد ما كانوا في

---

[1] – مجلة البحوث الإسلامية – مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ المؤلف: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ قواعد الاختصار المنهجي في التأليف ـ للدكتور : عبد الغني أحمد جبر مزهر ـ (352/59)

[2] – ظاهرة المختصرات في التراث الاسلامي ـ د محمد الفقيه ـ موقع ملتقى أهل الحديث http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=131808

القرن الثالث مصنفين مبتكرين ، صار الحال في القرن الرابع إلى الشرح ، ثم الاختصار والجمع .. "[1]. يتبين مما سبق أن تحديد زمن نشأة المتون و المختصرات العلمية يصعب حصره و ضبطه، و ذلك راجع للتراكمات الهائلة للتراث الاسلامي الضخم الذي يحتاج منا الى مزيد عناية و دراسة و تصنيف.

و لكن بعد البحث و التنقيب يتبين لنا أن قول الفقيه العلامة الحجوي الثعالبي،أن ابتداء ظهور المتون العلمية كان في القرن الرابع الهجري لم يكن موفقا فيه الى حد كبير، فقد وقفت على عدد لا يستهان به من المنظومات و المتون العلمية يرجع تاريخها الى القرن الثاني الهجري و ما بعده ، و نريد أسفله بعضا من هذه المنظومات و المتون على سبيل المثال لا الحصر:

➢ القرن الثاني الهجري:

1- المنظومة النحوية، منسوبة الى الخليل بن أحمد الفراهيدي،ت 173هـ ، طبعت بتحقيق د. أحمد عفيفي، مطبعة دار الكتب المصرية 1995م.

➢ القرن الثالث الهجري:

2- المنظومة الخاقانية في التجويد، نظم الإمام أبي مزاحم موسى بن عبيد الله بن خاقان الخاقاني البغدادي،ت 325 هـ، منظومة رائية،عدد 51 بيتا، وهي أول منظومة في علم التجويد.

➢ القرن الخامس الهجري:

3- القصيدة الحصرية في قراءة الإمام نافع، نظم الإمام أبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري القيرواني الفهري،ت 488 هـ، عدد أبياتها 209 بيتا ،طبعت في مكتبة أولاد الشيخ القاهرة تحقيق توفيق العبقري.

➢ القرن السادس الهجري

[1] - الفكر السامي . باب علم الخلافيات . (181/2)

4- حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع ،نظم الإمام القاسم بن فيره بن خلف الشاطبي، ت 590 هـ ،قال الذهبي في معرفة القراء الكبار: "ولقد سارت الركبان بقصيدته حرز الأماني وعقيلة أتراب القصائد اللتين في القراءات والرسم، وحفظهما خلق لا يحصون، وخضع لها فحول الشعراء، وكبار البلغاء، وحذاق القراء، فلقد أبدع و أوجز وسهل الصعب"[1]،لذا تلقاها العلماء في سائر الأعصار،طبعت في مكتبة دار الهدى المدينة المنورة 1431هـ ،مراجعة محمد تميم الزعبي.

➢ القرن العاشر الهجري

5- الدرة البهية نظم الاجرومية، للعلامة شرف الدين يحيى بن نور الدين العمريطي الشافعي الأنصاري،ت 989 هـ طبع في مطبعة البابي الحلبي 1302هـ ، وفي المطبعة الميمنية مصر 1309 هـ

➢ القرن الرابع عشر هجري

6- التحذيرات من أخطاء القراء، نظم الشيخ عبد الرزاق بن أحمد الشاحذي اليماني ،طبع في المطبعة السلفية عام 1395 هـ مع تعليقات مختصرة للناظم

➢ القرن الخامس عشر هجري

7- نظم تنقيح فتح الكريم في تحرير أوجه القرآن العظيم، شارك في نظمه عدد من المشايخ:أحمد عبد العزيز الزيات، إبراهيم علي السمنودي، عامر السيد عثمان، عدد أبياته: 463 بيتا،طبع في إدارة شؤون القرآن بوزارة الأوقاف في الكويت عام 1426هـ

عوامل الظهور من العوامل التي ساهمت في ظهور المختصرات كفن من فنون التأليف وتطور الاهتمام بها حتى زاحمت المطولات في اهتمام العلماء وطلاب العلم وحتى أصبحت مؤخراً العمدة في الدروس والطلب وحتى الفتوى :

[1] – معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ـ المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ) ـ الناشر: دار الكتب العلمية ـ الطبعة: الأولى 1417 هـ- 1997م ـ باب الطبقة الرابعة عشرة ـ (312/1)

1-الحاجة التعليمية : " فحينما يشرع العالم في تدريس العلوم ويريد كتاباً يكون عليه مدار درسه، خاصة لمن هم في مرحلة الطلب ، يجد الصعوبة في التعامل مع المطولات ... فلا يستطيع الطالب استيعاب معظمه ، ويؤدي إلى تشتيته ... فيعمد العالم إلى وضع كتاب مدرسي يتوخى فيه الاختصار وتقريب المعلومة للتلميذ ، بحيث إذا حفظه وفهمه كون لديه قاعدة تعليمية صلبة يستطيع أن يبني عليها ويتوسع من خلالها ، وتكون معلوماته مركزة لا مشتته فيحصل للطالب التنقل في مدارج العلم حتى يصل للغاية المبتغاة ....فلم يكن الهدف عند المصنفين قديماً أن يكون المختصر هو النهاية إنما جعلوه مرحلة تأسيسية في الطلب حتى ينطلق الطالب بعد ذلك في العلم من قاعدة متينة ، فالأساس المتين يؤهل الطالب لأن يكون متيناً في العلم ...

2-ضعف الهمم فبعد ما كان هدف الأوائل الإمامة ،رضي من بعدهم بمرتبة تلامذة الإمام ثم ما زالت الهمم في تناقص ،مما أقلق العلماء الكبار وجعلهم يتعاملون مع هذا الضعف بمصنفات متناسبة ،حتى لا يؤدي طول المصنفات إلى انصراف الناس عن العلم بالكلية..".[1].. يقول ابن الحاجب في مقدمة مختصره الشهير في أصول الفقه (مختصر المنتهى) : " فَإِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ قُصُورَ الْهِمَمِ عَنِ الْإِكْثَارِ، وَمَيْلَهَا إِلَى الْإِيجَازِ وَالِاخْتِصَارِ - صَنَّفْتُ مُخْتَصَرًا فِي أُصُولِ الْفِقْهِ، ثُمَّ اخْتَصَرْتُهُ عَلَى وَجْهٍ بَدِيعٍ، وَسَبِيلٍ مَنِيعٍ، لَا يَصُدُّ اللَّبِيبَ عَنْ تَعَلُّمِهِ صَادٌّ، وَلَا يَرُدُّ الْأَرِيبَ عَنْ تَفَهُّمِهِ رَادٌّ"[2].

3- شهرة الكتاب المراد اختصاره ومكانته في ذلك العلم من بين العوامل أيضا شهرة الكتاب المراد اختصاره،فعلى سبيل المثال من بين أشهر المتون النثرية في علم النحو نجد "الأجرومية"، و قد اعتنى بنظمها كثير من العلماء مثل العمريطي و الولاتي...

4- إظهار البراعة في التأليف "ومعروف أن اختصار الكلام أصعب من الإسهاب فيه فيتبارى المؤلفون في وضع المختصرات القليلة الألفاظ الكثيرة المعاني وكلما كان أقدر على الاختصار نال هو ومختصره المكانة العالية .

---

[1] ظاهرة المختصرات في التراث الإسلامي - د. محمد الفقيه - موقع ملتقى أهل الحديث http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=131808

[2] بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب - المؤلف: محمود بن عبد الرحمن (أبي القاسم) ابن أحمد بن محمد، أبو الثناء، شمس الدين الأصفهاني (المتوفى: 749هـ) - المحقق: محمد مظهر بقا - الناشر: دار المدني، السعودية - الطبعة: الأولى، 1406هـ / 1986م - باب المبادئ الأصولية - (8/1).

5- اتساع رقعة الأمة الإسلامية و بالتالي تتفوات الأذهان و الانتماءات المذهبيى،"وقد يغلب إرث إمام مجدد على بلد معين، فيفضلونه على غيره، كغلبة فقه مالك في بلاد المغرب...

المتون بين الرفض والقبول

سنحاول في هذا المطلب طرح مواقف بعض العلماء تجاه المتون العلمية، ونبدا بالعلامة ابن خلدون في مقدمته المشهورة حيث قال: "ذهب كثير من المتأخّرين إلى اختصار الطّرق والأنحاء في العلوم يولعون بها ويدوّنون منها برنامجا مختصرا في كلّ علم يشتمل على حصر مسائله وأدلّتها باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفنّ. وصار ذلك مخلّا بالبلاغة وعسرا على الفهم. وربّما عمدوا إلى الكتب الأمّهات المطوّلة في الفنون للتّفسير والبيان فاختصروها تقريبا للحفظ كما فعله ابن الحاجب في الفقه وابن مالك في العربيّة. ... ثمّ فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلّم بتتبّع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها. .... ثمّ بعد ذلك فالملكة الحاصلة من التّعليم في تلك المختصرات إذا تمّ على سداده ولم تعقبه آفة فهي ملكة قاصرة عن الملكات الّتي تحصل من الموضوعات البسيطة المطوّلة لكثرة ما يقع في تلك من التّكرار والإحالة المفيدين لحصول الملكة التّامّة..... فقصدوا إلى تسهيل الحفظ على المتعلّمين فأركبوهم صعبا يقطعهم عن تحصيل الملكات النّافعة وتمكّنها. «ومن يهد الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له» . والله سبحانه وتعالى أعلم ".

قال صاحب الفكر السامي:" أنهم لما أغرقوا في الاختصار، صار لفظ المتن مغلقا لا يفهم إلا بواسطة الشراح، أو الشروح والحواشي، ففات المقصود الذي لأجله وقع الاختصار وهو جمع الأسفار في سفر واحد، وتقريب المسافة وتخفيف المشاق، وتكثير العلم، وتقليل الزمن، بل انعكس الأمر، إذ كثرت المشاق في فتح الأغلاق، وضاع الزمن من غير ثمن... . وأما من حيث المواد، وتقليل الأسفار، فقد وقع لهم غلط فيما أملوه وصرنا من جمع القلة إلى الكثرة، وذلك أن "المدونة" مثلا فيها نحو ثلاثة أسفار ضخام، وهي مفهومة بنفسها لا تحتاج لشرحها في غالب مواضعها لكن خليل لا يمكننا أن نفهمه ونثق بما فهمنا منه إلا بستة أسفار للخرشي، وثمانية للزرقاني، وثمانية للرهوني الجميع اثنان وعشرون سفرا مع طول الزمن المتضاعف في الدروس والمطالعة في تفهم العبارات المغلقة فلم يحصل المقصود من الاختصار،

بل انعكس الأمر، وأصبحنا في التطويل، فأصبح علم الفقه يستغرق عمر الطالب، والمدرس......وقد ختم المختصر بعض أشياخنا تدريسا في نحو أربعين سنة، ومع هذا فإنما يحرر الفروع، ويسردها مسلمة. والواقع في الفقه هو الواقع في النحو والصرف والبيان والأصول حتى إن صاحب "جمع الجوامع" لتمكن فكرة الاختصار منه ادعى في آخره استحالة اختصاره، وكل العلوم وقع فيها ذلك وما أصابها في علومها أصابها في صنائعها وتجارتها وفلاحتها، وكل باب من أبواب الحياة، وإذا أراد الله شيئا هيأ له الأسباب، فإن شاءت الأمة النهوض فلتبدأ باصلاح التعليم، خصوصا اللسان وأقول: ليس بإنسان من لا قلم له ولا لسان، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ". ويقول الطاهر ابن عاشور: " وبعد طول الزمان صرفت الأذهان عن الفائدة ونسي المؤلفون خطتهم فأصبحت لا ترى التأليف إلا مناقشات وخصومات في الألفاظ والعبارات ، وفي ذلك يضيع عمر الطالب ويخور فكره ، ويصبح رجلاً قادراً على المكابرة واللجاج بغير حجاج ، فماذا بقي للعلماء من مجدهم القديم ، انحصرت دائرة التأليف في نقل ما قاله المتقدمون ، ترى تأليفاً يظهر بعد آخر ، ولا تجد شيئاً جديداً أو رأياً أو تمحيصاً ."

<u>الاعتكاف على المتون و المنظومات العلمية له فوائد كثيرة واضحة ، من بينها:</u>

<u>1) التميز العلمي :</u>

((حفظ المتون طريق التميز العلمي، حيث يعلو حافظها، ويسود بين أقرانه وأصحابه، ولايكاد يُسأل عن مسألة إلا يستحضر ماذا قال فيها صاحب الألفية إن كانت لغة، أو فقهاً أجاب كما البشار المالكي أو كانت أصولاً طلَّ عليك بالورقات للجويني...

وهذا الاستخصار ووجوده، سببه الحفظ والاتقان الصانعان للتميز والنبوغ، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ كما قال الأئمة قبلنا،. والمهم أن حفظ المتن مزية للطالب، وتنويه بشأنه واعتماده على ركن شديد، يفخر به ويجيب به إذا سُئل، وهي متمحضة عن أفهام العلماء وتفسيراتهم للنصوص، تجعلها مداخل لاختصار العلوم، وبعضها آلات لا يُفهم الوحيان بدونهما، كعلوم اللغة والأصول والمصطلح.

والتميز يكون هنا من جهات :

1- حيازته لمتن علمي، تلقاه الناس بالقبول لاسيما في بلده.

2- إفتاؤه به كلما سُئل أو سنحت الفرصة.

3- احتجاجه به في المناسبات والمناظرات.

4- حرصه على مراجعته وتدقيقه، وفك مسائله وألغازه.

5- وقوفه على مهمات العلوم، عبر هذا المتن الضيق الصغير.

2) ضبط معالم الشريعة :

فمختصر خليل مثلا، وليست رأياً محضاً، ولو عدت لأدنى حاشية أو شرح لذلك المتن لطالعت سرد النصوص والأدلة، فهي منظومة عامة لمعالم الفقه الإسلامي.. لا تكفي لمجرد الفقه، بل هي مفتاح مبتدئي، يحمل صاحبه على البحث والسؤال والتحشية، وجرد المطولات والتعليقات.

وكتب اللغة والأصول تكشف مناهج الاستدلال، وتضبطها، وتعلم النشء المسالك الصحيحة للاستنباط والفهم والاستدلال، فصارت من منبع الشريعة بهذا المعنى، فلم التضجر منها ؟!. وقد استفاض عند أئمة الإسلام أن الفقيه لا يكون فقيهاً حتى يكون أصولياً، وهو المتكلم في الحلال والحرام المقتبس من نصوص الشريعة!! وصح قوله صلى الله عليه وسلم : (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)[1]

3) حضور الحجة :

ضبط الفن، علامة الحفظ والتيقظ، وحضور الحجة في كل وقت ، وهذا شرف وتميز بحد ذاته.

والمتن متعلق بذهنه أينما حل، يستدل به ويرد، ويدفع، ويناظر، ويقرر، بخلاف غيره، الحامل للمعلومات بلا دليل، ولا مجير ولا معين كما قال تعالى : (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)[النمل 64].

والحجج هنا متنوعة منها العقائدي والأصولي والفقهي، والحديثي واللغوي والنحوي أو البلاغي والاصطلاحي.. وكلها دائرة إطار العلم، ولم يقل عالم معتد بعلمه إنها حشو، لا قيمة لها بل حجج علمية، وبراهين تأصيلية.!!

4) الحفز الفكري :

لما كانت المتون ضيقة الصياغه، مستغلقة الفهم، ذات كلمات محبوكة مقفولة، كان ذلك دافعاً للتلميذ، أن يحرك ذهنه للبحث والسؤال، وتقييد الحواشي والتعليقات، بل إن ترديدها دائماً يعتبر نقشاً ذهنياً على جدار الذاكرة يحتاج إلى فك وتحليل.

---

[1] - مسند الإمام أحمد ـ باب حديث معاوية بن أبي سفيان ـ (55/28)

5) صقل الذهن :

والمعنى أنها تجلوه وتشحذه، بحيث يصير واعياً، قد طاب نضجه، وحسُن أداؤه، والصقل جاء هنا من ثمرات المتون وسببه :

1- امتلاء الذهن بعباراتها المحكمة، وتقريراتها المتقنة.

2- استدامة تكرارها، والاحتجاج بها في مناسباتها. وكان مشهوراً في بعض المدارس الفقهية التناظر بتلك المتون الفقهية و اللغوية، حتى تفجر النبوغ وتبعث الملكة.

3- تدقيق عباراتها وتقصيرها، بحيث كأنها ضرب من جوامع الكلم، الذي هو مكون من عبارات قصيرة، تحوي معاني كثيرة، وشراحها جعلوها كذلك، مما يدل عل أن هذه المتون لا يكتبها كل إنسان، بل لا بد لها من تمكن علمي لغوي بياني، منطقي تصنيفي ، يقطع الطريق على كل متعقب ومستدرك.

6) البناء التأصيلي :

ومثل هذه المتون كالقاعدة الأرضية الصلبة، التي تحكم سير الطالب، وتضبط سلوكه، وتحدد معالم تفكيره، لئلا يتيه أو يضل، ثم بعد ذلك ينطلق طائراً في حدائق المعارف والعلوم، فالقسمة في الطلب على قسمين :

1) طالب يقرأ قراءة عامة، ويتثقف للعلم والتحصيل بلا محفوظات.

2) وطالب لا يقرأ كثيراً ، ولكن ركز على متون محددة، يعيدها ويكررها حتى ترسخ كالفاتحة والمعوذتين.. أيهما أنفع في الطلب، وأيهما أقدر على الاستحضار والاحتجاج يوم المصاولة والمداولة.؟!

والعملية هنا تستوجب المذاكرة والاسترجاع، وبذل شئ من الاهتمام.. وليس مجرد التثقيف العام، الذي ينتابه النسيان، والنقصان.!!

فحامل المتون، مثل الذي شيد بيتاً على أساس متين، لا تهزه العواصف والتقلبات، والمثقف العام حتى ولو كن نَهِماً، كالذي بنى بيتاً بدون أدنى اهتمام بأساسياته وقواعده الغائرة في الأرض.. سيهتز عند أسهل اختبار زاحف ...

أبداً لا يستويان، ولذلك قد يتعب الحافظ ويهتم، بخلاف غيره، ولكنه يجني الكنوز والعجائب، كما قال الزمخشري :

أأبيتُ سهرَان الدهر وتبيته　　　　نوماً وتبغي بعد ذاك لحاقي

7) وعي المفاتيح :

يكاد يتفق علماء الأمة وجهابذتها، أن هذه المتون مفاتيح إلى تفاصيل وعمق تلك العلوم المرضية، ولا يعني حيازتها حياز الكمال، أو الوقوف على أغوار المكنونات الفريدة، بل هي مداخل ومفاتيح ومقدمات، من وعاها، حملته على أخواتها المتسعات، وقريناتها المبسوطات، واستطاع من خلالها أن يفقه مفتاح كل فن، ويمهر ألفاظه ويدرك تفاصيله.

ولهذا هي مقدمة أساسية لإدراك معالم كل فنّ، أو ضبط مسائله العامة وفقه أصوله الكلية.

فمُلحة الإعراب مثلاً حافظها، يؤسس قاعدة نحوية لأصول الإعراب، ووعي المصطلحات العامة، وكذلك حافظ البيقونية يحدد معاني المصطلحات الحديثية في جلها وليس كلها، بعد ذلك يتجه إلى شروحها أو يقرأها على شيخ يدرسها، حتى يتمكن من علم الحديث، التى ستهديه إلى وعي الأسانيد والحكم على الأحاديث.

8) التحاجج الحواري :

إنَّ حفظ المتون وما تحويها من ضبط ودقة متناهية، تعلم صاحبها وعي الحجج، والمقارعة بها، وصد الخصوم بمفردات أهل العلم، لأن بعضها بات كالقواعد الرئيسية، ومحل احتجاج واعتراف الجميع،لأنها دقيقة ومختصرة، وموجهة، ومعجمة، فمَن تعلِّمه النحو لجملة مفيدة يحسن السكوت عليها، تقول له مباشرة

قول بن مالك : [كلامنا لفظ مفيد كاستقمْ اسم وفعل ثم حرف الكلمْ]

والنظم العلمي قد يكون أحلى وأدق وأسد من الكلام المنثور، وقد برع فيه السادة الشناقطة، أعلاهم الله أيما براعة، واخترقوا العلم، وشقوا الصعاب، وأتوا فيه بالعجائب.

نحو قول بعضهم في حكم الروايه بالمعنى :

رواية الحديث بالمعنى اختلفْ فيها كثير من أكابر السلفْ

فذهبت لمنعه منهم زُمَرْ موافقو عبد الإله بن عمرْ

9) الانتماء الشرفي :

والشرف هنا في المتون من جهتين :

الأولى : جهة العلم المضبوط فيها

الثانية : جهة الانتساب لهؤلاء العلماء، والعيش مع علمهم ومشاعرهم وما أفخر الطالب، وأعزَّه عندما يقول امتن الله علي بحفظ الألفية النحوية، أو الحديثية، أو الفقهية أو البلاغية أو الأصولية، سيصبح من أبناء هذا الإمام... والحامل لإرثه، والداعي لكلامه، والمدرك لمغازيه.

10) الوعي المنهجي

الذي لم يدركه بعض الفضلاء، أن ثمة شيئاً في المتون العلمية، قلما تنبه إليه بعض الشيوخ الناقدين لمنهج المتون، وهو احتواؤها على طرائق المصنفين، ومعرفة المنهج المسلوك في الكتابة، ومضامين ذلك الفن، والعلم المعتزم اختراقه بالحفظ والاتقان.. وكيفية ترتيبهم للموضوعات، والتبويبات وأيهما المهم من سواه، مع أنها مبنية على التضييق والاختصار، لكن بالحفظ وطول التمرس والتأمل تفهم، وتُدرك، ويصبح التلميذ ذا وعي وخبرة بطريقتها ومقاصدها ومنهجها الفكري والترتيبي.

11) التنشيط الذاتي :

وهذه فضيلة هامه لحفاظ المتون، أن حفظها مظنة فهمها، ثم التفكير فيها إلى أن يحرص على شروحاتها المختصرة.. ويمكن أن نقول إنها حفازة الهمم، ومشعلة العزمات، لأن الطالب إذا فرغ من المتن في وقت وجيز، جرّه ذلك إلى حب الفهم وإدراك المسائل والمصطلحات، وهذا لا يتأتى إلا بالحضور عند شيخ أو الرجوع إلى حاشية صغرى على ذلك المتن.

فالمقصود أن تقليل المحفوظ عبر المتون المختزلة، باعث على النشاط والبحث والسؤال المسارعة، وصدق القائل : (حفظ النصوص مظنة فهمها).

والقائل (من حفظ المتون حاز الفنون) حيازه أولية بضبط معالم الفن، وحيازة نهائية بالحمل على التوسع في فهم المتون، إلى الحيازة الكاملة...

12) التدرج الطلبي :

حفظنا من أدبيات الطلب (من رام العلم جملة، فاته جملة).

ولذا كان من فضائل المتون، أنها درجة من درجات السلم المعرفي، حفظ ففهم، فتأمل، فاستيعاب، تحمل صاحبها على الأناة والتدرج وعدم الاستعجال، وفي الحديث قال صلى الله علي وسلم : (إنَّ فيك لخصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة).[1].))[2]

مناهج وأساليب العلماء في شرح المتون العلمية

الشرح الإجمالي الذي يريد منه الشارحُ توضيح عبارات المتن باقتضاب شديد والإلمام السريع بمباحث ذلك المتن...ولهذا المنهج فائدة جليلة في اكتساب تصوّر أوّلي سريع لمسائل المتن، وتناسب ارتباطها بعضها ببعض. ولكن الاكتفاء به لا ينتج للطالب تحصيلاً علمياً يُعتمد عليه، ولذلك تجد الغالب على من سلك هذه الطريقة في الدراسة الضعف العلمي، وإن درس عدداً من المتون العلمية. والشرح التحليلي: الذي لا يكاد يغادر صاحبه لفظة من ألفاظ المتن إلا ويعلق عليهاأو يشرحها، بل ربما أعربها.ولهذا التحليل والتفصيل فوائد قيّمة في فهم عبارات المتن، وحلّ المشكلات، والإلمام بتفصيلات المسائل التي يذكرها الماتن، وهو أنفع مما قبله. لكن يؤخذ على هذه الطريقة إفاضتها في التفصيلات إلى درجة تجعل الطالب يحس من نفسه أن تلك المعلومات ينسي بعضها بعضاً وتذهله عن المقصد العام لموضوع الدرس الذي يدرسه، وربما اشتغل ذهنه بأنواع من المسائل الاستطرادية التي ليس لها صلة مباشرة بموضوع الدرس. فإن اكتفى طالب العلم بهذا المنهج أو لم يعقبه بمراجعة جيدة لأهم المسائل المتصلة بمقاصد الدرس نسي كثيراً مما درس، ولم يرسخ في ذهنه إلا بعض الفوائد والمسائل التي ترتبط لديه ذهنيّا بأمور مهمة. والشرح التأصيلي الذي يُعتنى فيه بالتركيز على قواعد الباب وأنواع مسائله وأدلتها، ومن يسلك هذا المنهج من العلماء يعتني ببيان مقاصد الدرس أكثر من عنايته بشرح عبارات المتن، بل ربما لا يعرض لشرح عبارات المتن أصلاً، وإذا قرئ عليه المتن بدأ بشرحٍ عامّ لموضوع الدرس، ثم أفاض في تأصيل مسائله، ثم إن وجد في الوقت بقية عرض لبعض عبارات المتن بشيء من التعليق....ذلك لأنه صرف عنايته إلى بيان تأصيل المسائل التي تضمّنها ذلك الباب، ولو كان بعضها غير مذكور في المتن، والاجتهاد في ربط تلك

[1] – الأدب المفرد ـ المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ) ـ المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ـ الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت ـ الطبعة: الثالثة، 1409 – 1989 ـ باب التؤدة في الأمور ـ (205/1)

[2] – فضائل حفاظ المتون على أصحاب الظنون ـ تأليف / د. حمزة بن فايع آل فتحي ، عضو هيئة التدريس بجامعة الملك خالد بأبها ـ ص 20 و مابعدها بتصرف.

المسائل بأدلتها وتقسيماتها. وهذا المنهج أنفع المناهج لطالب العلم لأنه يعينه على بناء الملكة العلمية التي يتمكن بها من فهم مسائل العلم، وارتباط بعضها ببعض، وطرق دلالة الأدلة عليها، وغير ذلك من الفوائد العلمية. ويؤخذ على هذا المنهج أنه ربما يفوت الطالبَ فهمُ بعض العبارات المشكلة في المتن لانشغال الشارح عن شرح عبارات المتن التي قد يشكل بعضها على طلاب العلم. فإذا جمع الطالب مع هذا الشرح قراءة المتن قراءة متأنية، وسأل عما يشكل عليه أتى على سدّ الخلل، واكتمل انتفاعه بهذه الطريقة.

و لا يفوتني هنا أن أضيف الى هذه المناهج: المنهج التربوي القيمي الذي يتناول فيه الشارح للمتن طريقة مغايرة و جديدة تتمثل في الوقوف على الأبعاد التربوية و القيمية المتضمنة في المتن،فننتقل بذلك من الدراسة العلمية المحضة،و التي تكون في بعض الأحيان جافة،الى دراسة علمية تربوية قيمية هادفة.

خاتمة

بعد هذه الجولة المتواضعة في رحاب تراثنا الإسلامي – المتون العلمية – و بعد محاولتنا الوقوف على أهم المعالم النظرية، بدءا بالنشأة و عوامل الظهور،مرورا بمظاهر القبول و الرفض لهذه المتون،وصولا إلى مناهج و طرق تدريسها و مدارستها ، نخلص الى النتائج الآتية:

1. ظاهرة المختصرات –بمفهومها العام– نشأت منذ العصر النبوي في شخص الرسول صلى الله عليه و سلم و أقواله،و هو المعروف بجوامع الكلم.
2. المختصرات و المتون العلمية كانت محط خلاف واسع بين بعض العلماء بين قابل و رافض لها... و الصواب و الله أعلم أن للمتون فوائد كثيرة اذا حسُن استغلالها،كما لها سلبيات اذا لم نحسن ذلك.
3. تعدد و تنوع أساليب الاشتغال على شروح المتون العلمية و تدريسها، إلا أن هذا التعدد يفتقر بشكل واضح و جلي للبعد التربوي القيمي.
4. مازالت المتون العلمية تحتاج منا إلى دراسة في جانبها النظري،لأن مكتبتنا الإسلامية تكاد تخلو من مثل هذه المواضيع التاريخية المهمة.

5. أنجع طريقة لتدريس المتون العلمية هي المزاوجة بين الطرح العلمي للمتن،والطرح التربوي القيمي المتضمَّن داخله.
6. تراثنا الإسلامي يحتاج منا إلى قراءة–لا أقول جديدة– و لكن قراءة إضافية،مكملة و متممة للطرح العلمي المحض، الذي يظن الدارس من أول وهلة أن هذا الطرح هو المقصد الأساس و الوحيد في وضع هذه المتون و المنظومات.
7. شرح و تدريس المتون العلمية بالمنهج العلمي التربوي، يجعل من طالب العلم يمتلك ملكة مزدوجة، تجمع بين التحصيل العلمي والتشبع بالقيم التربوية الأخلاقية، وبذلك قد يكون حقق المبتغى في طلبه للعلم.

المصادر و المراجع:

الأدب المفرد ـ المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ) ـ المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ـ الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت ـ الطبعة: الثالثة، 1409 – 1989 ـ باب التؤدة في الأمور ـ (205/1).

بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب ـ المؤلف: محمود بن عبد الرحمن (أبي القاسم) ابن أحمد بن محمد، أبو الثناء، شمس الدين الأصفهاني (المتوفى: 749هـ) ـ المحقق: محمد مظهر بقا ـ الناشر: دار المدني، السعودية ـ الطبعة: الأولى، 1406هـ / 1986م ـ باب المبادئ الأصولية ـ (8/1).

تاج العروس من جواهر القاموس ـ(144/36)ـ محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ) ـ المحقق: مجموعة من المحققين

فضائل حفاظ المتون على أصحاب الظنون ـ تأليف / د. حمزة بن فايع آل فتحي ، عضو هيئة التدريس بجامعة الملك خالد بأبها ـ ص 20 و مابعدها بتصرف.

مسند الإمام أحمد ـ باب حديث معاوية بن أبي سفيان ـ (55/28)

- ظاهرة المختصرات في التراث الإسلامي ـ د. محمد الفقيه ـ موقع ملتقى أهل الحديث http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=131808

معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ـ المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ) ـ الناشر: دار الكتب العلمية ـ الطبعة: الأولى 1417 هـ- 1997م ـ باب الطبقة الرابعة عشرة ـ (312/1).

الفكر السامي ـ باب علم الخلافيات ـ (181/2)

ظاهرة المختصرات في التراث الاسلامي ـ د محمد الفقيه ـ موقع ملتقى أهل الحديث http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=131808

كتاب العين ـ (131/8.) ـ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري المتوفى: 170هـ المحقق ـ د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ـ الناشر: دار ومكتبة الهلال

معجم مقاييس اللغة (294/5)أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) ـ المحقق: عبد السلام محمد هارون ـ الناشر: دار الفكر ـ عام النشر: 1399هـ – 1979م

معجم اللغة العربية المعاصرة ـ د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل ـ الناشر: عالم الكتب ـ الطبعة: الأولى، 1429 هـ – 2008 م ـ (649/1)

مجلة البحوث الإسلامية – مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

المؤلف: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ قواعد الاختصار المنهجي في التأليف للدكتور : عبد الغني أحمد جبر مزهر ـ (352/59)